الفصل 1

علم النفس الاجتماعي

Social Psychology

العلم المتعلق بالجانب الاجتماعي من الحياة

The Science of theSocial Side of Life

الحياة – كما كان إرنست هيمنجواي الأديب الفائز بجائزة نوبل يقول كثيراً – "هي عيد جوال". ما يعنيه بهذه الكلمات (والتي استخدمها أيضاً كعنوان لمذكراته) هو هذا: الحياة، مثلها مثل أي عيد، تقدم شيئاً لكل إنسان، كل الأذواق والتفضيلات. ومثل العيد، تعطي الحياة الكثير من الخيارات، وتنشر أمامنا خليطاً دائم التغير من الخبرات– بعضها مليء بالبهجة والمرح، بينما البعض الآخر تورث الضياع والأسى.

الآن، رجاء عد خطوة للوراء من "العيد الجوال" الذي هو "حياتك"، وفكر في السؤال التالي: ما المظهر الأكثر أهمية أو محورية فيها – الجزء الأشد التصاقاً بآمالك، وخططك، وأحلامك، وسعادتك؟ "هل هو عملك، سواء في المدرسة أو في وظيفة ما؟ هواياتك؟ معتقداتك الدينية أو السياسية؟ كل هذه أجزاء هامة من حياتنا، ولكننا نعتقد أنك إذا فكرت في هذا السؤال بعمق أكبر، فإنك ستصل إلى استنتاج أن المظهر الأكثر أهمية في حياتك هو البشر الآخرون: أسرتك، أصدقاؤك، رفيقك، زملاء غرفتك، زملاء فصلك، أساتذتك، رئيسك، شركاء عملك، زملاء فريقك الرياضي – كل الناس الذين تهتم بهم وتتفاعل معهم. هل ما يزال لديك شك عالق حول هذه النتيجة؟ إذن، حاول لدقيقة تخيل الحياة في انعزال كامل عن الآخرين، كما ظهر في أفلام مثل WALL-E– قصة روبوت ذكي تم تركه وحيداً تماماً على كوكب الأرض المهجور (الشكل 1-1). هل يمكن لمثل هذه الحياة، التي يتم عيشها في عزلة تامة، بلا أي روابط مع بشر آخرين، بلا حب، وبلا جماعات تنتمي إليها، أن يكون لها أي معنى؟ بينما ليست هناك إجابات حازمة لمثل هذه الأسئلة، فنحن نعرف بالفعل أن الكثيرين من الناس يجدون فكرة مثل هذا الوجود المعزول مربكة. مايزال لديك شك؟ إذن حاول تذكر آخر مرة لم يكن هاتفك الخلوي يعمل أو فقدت وصلتك إلى الفيسبوك، أو تويتر، أو غيرها من الشبكات الاجتماعية. كيف كان شعورك أن تفقد الاتصال؟ ليس ساراً، نحن متأكدون؛ وهذا سبب أننا لا نتفاجأ عندما نسير عبر حرم الجامعة ونرى الكثير من

مخطط الفصل

علم النفس الاجتماعي: نظرة عامة

– علمية علم النفس الاجتماعي في طبيعته

– علم النفس الاجتماعي يركز على سلوك الأفراد

– علم النفس الاجتماعي يسعى لفهم أسباب السلوك الاجتماعي والتفكير الاجتماعي

– البحث عن المبادئ الأساسية في عالم اجتماعي متغير

– علم النفس الاجتماعي: ملخص

علم النفس الاجتماعي: التطورات على كل الصعد

– المعرفة والسلوك: وجهان لنفس العملة الاجتماعية

– دور الانفعال في الجانب الاجتماعي من الحياة

– العلاقات: كيف تتكون، وتتغير وتقوى– أو تنتهي

– العلم العصبي الاجتماعي: أين تتلاقى أبحاث علم النفس الاجتماعي والمخ

– دور العمليات الضمنية (اللاشعورية)

– المراعاة الكاملة للتنوع الاجتماعي

كيف يجيب علماء النفس الاجتماعيون على الاسئلة التي يطرحونها: البحث كطريق إلى زيادة المعرفة

–الملاحظة المنظمة: وصف العالم من حولنا

– الارتباط: البحث عن العلاقات

– المنهج التجريبي: المعرفة من خلال التدخل المنظم

– أفكار أخرى حول العلاقة السببية: دور المتغيرات الوسيطة

الأشخاص يرسلون رسائل نصية ويتحدثون عبر الهاتف الخلوي. إن الاتصال الاجتماعي هو مظهر محوري في حياتنا، وبمعنى دقيق جداً، يحدد من نحن وصفة وجودنا.

دور النظرية في علم النفس الاجتماعي

السعي وراء المعرفة وحقوق الأفراد: بحثاً عن حالة توازن ملائمة

استخلاص الفائدة القصوى من هذا الكتاب: دليل للمستخدم

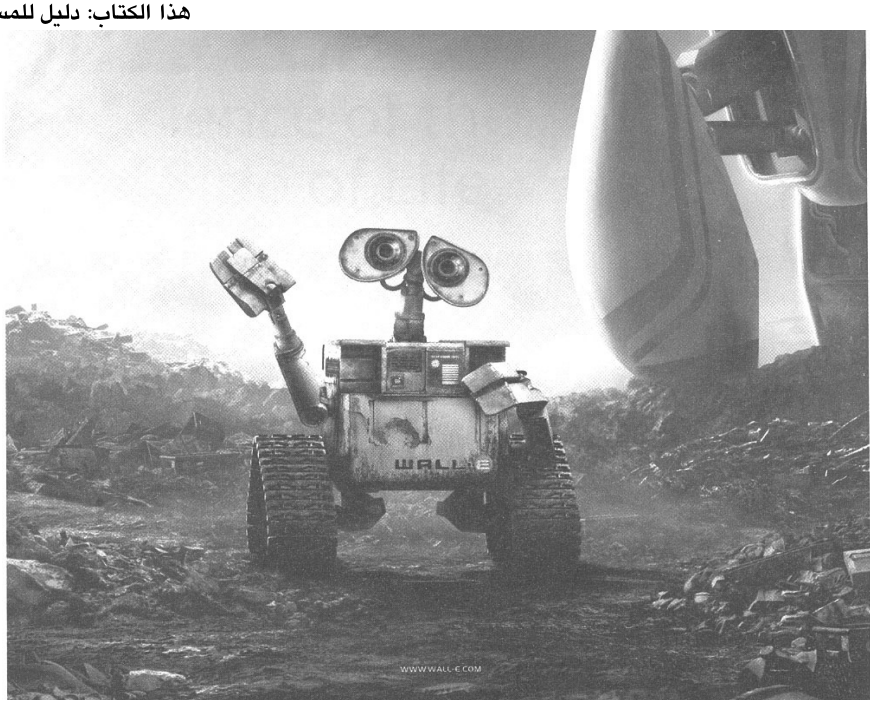

الشكل 1-1 هل الحياة في عزلة تستحق عيشها؟
هل تستطيع تخيل كيف ستحيا وحيداً دون اتصال مع أحد؟ في الفيلم "WALL-E" واجه روبوت ذكي (وبشري للغاية) هذا الموقف – والواضح أنه لم يحب ذلك.

إذاً الآن، استعد لرحلة مثيرة، لأن الجانب الاجتماعي من الحياة هو محور تركيز هذا الكتاب كله. ونحن نعد بأن نطاق هذه الرحلة سيكون واسعاً للغاية. ولكن ما هو بالضبط علم النفس الاجتماعي؟ في الأساس، هو الفرع من علم النفس الذي يدرس كل مظاهر وجودنا الاجتماعي – كل شيء من الانجذاب، والحب، وتقديم المساعدة في جانب، إلى التعصب، والحرمان، والعنف في الجانب الآخر– زائد كل شيء بينهما. بالإضافة إلى ذلك، بالطبع يقوم علماء النفس الاجتماعيون أيضاً ببحث كيف تؤثر الجماعات علينا، وكذلك طبيعة ودور التفكيرالاجتماعي – كيف نفكر بخصوص الآخرين، وكيف يؤثر ذلك على كل مظهر من مظاهر علاقاتنا معهم. هل قمت في أي وقت مضى بسؤال نفسك أسئلة مثل:

لماذا يقع الناس في الحب، ولماذا يخرجون منه؟

كيف يمكننا جعل الآخرين يفعلون ما نريد – وكيف نؤثر عليهم بالطرق التي نرغب؟

كيف نعرف أنفسنا – أبرز نقاط قوتنا، نقاط ضعفنا، أعمق رغباتنا وأشد احتياجاتنا؟

لماذا نقوم في بعض الأحيان بالتضحية بمصالحنا أو حتى سعادتنا لكي نساعد الآخرين؟

لماذا نقوم أحياناً بقطع مثل هذه المساعدة، حتى لو كانت مطلوبة بقوة؟

لماذا نفقد أحياناً أعصابنا ونقول أو نفعل أشياء نندم عليها لاحقاً؟ وبصورة أكثر عموماً، لماذا ينتشر الغضب، والعدوان، والعنف بمثل هذا الشيوع بين الأفراد، أو الجماعات، أو حتى دول كاملة؟

لو كنت قد فكرت في أي وقت مضى بأسئلة كهذه – والكثير غيرها ذات الصلة بالجانب الاجتماعي من الحياة– فإنك وصلت إلى المكان الصحيح، لأنها هي الأسئلة التي خاطبها علم النفس الاجتماعي، وهي الاسئلة التي نبحثها في هذا الكتاب. ورغم ذلك، فإنك ربما تفكر الآن قائلاً "إنه نطاق واسع جداً؛ هل يقوم مجال علم النفس الاجتماعي حقاً بتغطية كل هذا؟ كما سترى، فنحن لا نبالغ، علم النفس الاجتماعي يقوم بالفعل بدراسة المدى الكامل للوجود ولكن مع التركيز والاهتمام بسلوك الفرد.

عند هذه النقطة، نأمل أن نكون قد فتحنا شهيتك نحو "العيد الجوال" القادم، لذلك نود أن نبادر على الفور ونبدأ في مخاطبة موضوعات وتساؤلات شبيهة بتلك التي ذكرناها منذ قليل. ومع ذلك، قبل القيام بهذا، نشعر أنه من المهم تزويدك ببعض المعلومات الأساسية عن مدى وطبيعة ومناهج علم النفس الاجتماعي. هذه المعلومات ستكون مفيدة لك في قراءة الكتاب كله، وفي فهم كيف يعمل علماء النفس الاجتماعيون على إجابة الأسئلة المتعلقة بالجانب الاجتماعي من الحياة، لذلك من الضروري أن نقدمها هنا. ولجعل هذه المعلومات فعالة وإبقائها عند الحد الأدنى في الحجم، سنقدم ما يلي:

أولاً، نقدم تعريفاً أكثر منهجية لعلم النفس الاجتماعي– ماهيته وما الذي يسعى لإنجازه. ثانياً، سنقوم بوصف عدة تيارات حالية في علم النفس الاجتماعي في جميع أنحاء الكتاب، لذلك فإن معرفتها في البداية ستساعدك في التعرف عليها وفهم سبب أهميتها. ثالثاً نستعرض بعض المناهج المستخدمة عن طريق علماء النفس الاجتماعيين لإجابة الاسئلة المتعلقة بالجانب الاجتماعي من الحياة. إن المعرفة الجارية بهذه المناهج الأساسية سوف تساعدك في فهم كيف يضيف علماء النفس الاجتماعيون إلى فهمنا للتفكير الاجتماعي والسلوك الاجتماعي، وستفيدك أيضاً خارج سياق هذا المقرر. بعد ذلك، نقدم لك نظرة عامة حول بعض الملامح الخاصة لهذا الكتاب– ملامح نعتقد أنك ستجدها مفيدة بعدة طرق.

علم النفس الاجتماعي: نظرة عامة Social Psychology: An Overview

إن تقديم تعريف لأي مجال هي مهمة معقدة. وفي حالة علم النفس الاجتماعي، تتزايد هذه الصعوبة بعاملين: النطاق العريض للمجال وسرعة تغيره الكبيرة. وكما سترى في كل فصل من فصول هذا الكتاب، يمتلك علم النفس الاجتماعي مدى واسعاً حقاً من الاهتمامات. ومع ذلك ورغم هذه الحقيقة، ينصب معظم التركيز بشكل رئيس على المهمة التالية: فهم كيف ولماذا يتصرف الأفراد، ويفكرون، ويشعرون بالطريقة التي يفعلون في المواقف الاجتماعية – المواقف التي تتضمن الوجود الفعلي للآخرين، أو وجودهم الرمزي. وطبقاً لذلك، نعرف علم النفس الاجتماعي بأنه "**المجال العلمي الذي يسعى إلى فهم طبيعة ومسببات سلوك الفرد، ومشاعره، وتفكيره في المواقف الاجتماعية**". وهناك طريقة أخرى لصياغة ذلك هي أن "علم النفس الاجتماعي يبحث الطرق التي تتأثر بها أفكارنا، ومشاعرنا، وأفعالنا بالبيئات الاجتماعية التي نعيش فيها– بالناس الآخرين أو أفكارنا بخصوصهم "(مثلاً، أن تتخيل كيف يتصرفون نحو الأفعال التي قد نقوم بها). سنقوم الآن بتوضيح هذا التعريف بالقاء نظرة أقرب على عدد من مظاهره الأساسية.

علمية علم النفس الاجتماعي وطبيعته

Social Psychology Is Scientific in Nature

ماهو العلم؟ الكثيرون من الناس يبدو عليهم أنهم يعتقدون أن هذا المصطلح يشير فقط إلى مجالات مثل الكيمياء، والفيزياء، والأحياء – المجالات التي تستخدم أجهزة مثل الموضحة في الشكل (1-2). إذا كنت تشاركهم هذا الرأي، فإنك قد تجد افتراضاً بأن علم النفس الاجتماعي هو أحد فروع العلم اقتراحاً محيراً. كيف يمكن لمجال يسعى لدراسة طبيعة الحب، ومسببات العدوان، وأي شيء بينهما أن يكون علمياً بنفس المعنى الذي ينطبق على الكيمياء، أو الفيزياء، أو علوم الحاسب؟ الإجابة بسيطة بشكل يثير الدهشة.

في الحقيقة، المصطلح "علم "Science" لا يشير إلى مجموعة خاصة من المجالات عالية التطور. بدلاً من ذلك، هو يشير إلى شيئين: 1- مجموعة من الموضوعات و 2- عدة مناهج يمكن استخدامها لدراسة مدى واسع من الموضوعات. وفي تقرير عما إذا كان مجال معين هو علم أم لا، السؤال الحاسم على ذلك هو "هل يتبنى هذه القيم والمناهج؟" ولدرجة فعله لذلك، فهو علمي في طبيعته أو لدرجة عدم فعله ذلك، ليقع خارج نطاق العلم. وسنقوم في قسم لاحق باستعراض الإجراءات التي يستخدمها علماء النفس الاجتماعيون في دراستهم بالتفصيل، لذلك نركز هنا على القيم الأساسية التي لا بد لكل المجالات أن تتبناها لكي تعتبر علمية في طبيعتها. أربع من هذه هي:

الدقة :accuracy التزام بجمع وتقييم معلومات عن العالم (بما فيه السلوك الاجتماعي والتفكير الاجتماعي)، بأكبر قدر ممكن من الحذر، والدقة، والعملية الخالية من الخطأ.

الموضوعية :objectivity التزام بالحصول على وتقييم المعلومات بطريقة خالية من التحيز بقدر ما تسمح به الطبيعة البشرية.

مبدأ الشك :skepticism التزام بقبول النتائج على أنها دقيقة فقط للدرجة التي تم التثبت منها وتصديقها مرة بعد مرة.

اتساع الأفق :open-mindedness التزام الفرد بتغيير آرائه – وحتى الآراء المقنعة بقوة – إذا كانت الأدلة الحالية تقترح أن هذه الأراء خاطئة.

الشكل 1-2 ما هو العلم حقاً؟

الكثير من الناس يبدو عليهم أنهم يؤمنون بأن المجالات التي تستخدم أجهزة معقدة مثل تلك المعروضة (على اليسار) فقط. يمكن رؤيتها كعلم. ومع ذلك، في الحقيقة فإن المصطلح "علم" يشير ببساطة إلى اعتناق مجموعة من القيم الأساسية (مثل الدقة، الموضوعية) واستخدام مجموعة من المناهج الأساسية التي يمكن تطبيقها على كل مظهر تقريباً من مظاهر العالم من حولنا – بما فيها الجانب الاجتماعي من الحياة. وبالعكس، المجالات التي ليست علمية في طبيعتها (على اليمين) فلا تقبل هذه القيم أو تستخدم هذه المناهج.

"ولكن لماذا تبنى علم النفس الاجتماعي المدخل العلمي؟ أليس علم النفس الاجتماعي مجرد أمر بديهي؟" لكوننا قمنا بالتدريس لسنوات طويلة، أما لماذا لا نقوم فقط بالاعتماد على خبرتنا الخاصة وحدسنا كأساس لفهم الجانب الاجتماعي من الحياة؟ إجابتنا مباشرة: لأن هذه المصادر تعطي إرشادات غير متسقة وغير موثوقة من أجل فهم السلوك الاجتماعي والتفكير الاجتماعي. لماذا؟ جزئياً لأن خبراتنا الخاصة تكون فريدة وقد لا توفر أساساً راسخاً من أجل اجابة تساؤلات عامة مثل "لماذا نقوم في بعض الأحيان بمسايرة "الجماعة" حتى لو كنا نرفض ما يقومون به؟" "كيف يمكننا معرفة ما يفكر فيه الآخرون أو يشعرون به عند لحظة معينة؟" بالإضافة إلى ذلك، في الكثير من الأحيان تعطينا البديهة أفكاراً متضاربة وغير مستقة عن المظاهر المختلفة للحياة الاجتماعية. على سبيل المثال، خذ الجملة التالية "الغياب يزيد الشوق؟ هل توافق على ذلك؟ هل حقيقي أنه عند فصل الناس عن هؤلاء الذين يحبونهم، فإنهم يفتقدونهم ومن ثم يشعرون

باشتياق متزايد إليهم؟ الكثيرون سيوافقون على ذلك. إنهم سيجيبون "نعم، قبل التوضيح الآن خذ الجملة التالية "البعيد عن العين، بعيد عن القلب". ماذا عن هذه؟ هل هي صواب؟ عندما ينفصل الناس عن هؤلاء الذين يحبونهم، هل يجدون بسرعة هدفاً رومانسياً آخر؟ يقترح أنك إذا لم تستطع أن تكون مع الشخص الذي تحب، يجب عليك أن تحب الشخص الذي أنت معه. وكما يمكنك أن ترى، فإن هذين الرأيين – كليهما تقترحه البديهة والثقافة الشعبية – وهما مُتضاربان. نفس الشيء حقيقي بالنسبة للكثير من الملاحظات العمومية حول السلوك البشري – إنها تبدو معقولة، ولكن كثيراً ما يبدو الاستنتاج المضاد لها ممكناً بنفس الدرجة.

ويمكننا الاستمرار في الأمثلة، ولكن الآن يجب أن تكون النقطة الأساسية واضحة: البديهة كثيراً ما تقترح صورة مشوشة وغير متسقة للسلوك البشري. هذا لا يعني أنها خاطئة بالضرورة؛ في الواقع أحياناً تمدنا البديهة بإلمامات واستبصارات مثيرة للإعجاب. ولكنها لا تخبرنا متى تكون المباديء والتعميمات صحيحة– مثلاً متى يكون "الغياب عاملاً لزيادة الشوق" ومتى يصبح "البعيد عن العين، بعيداً عن القلب". فقط يستطيع مدخل علمي يختبر السلوك الاجتماعي والتفكير الاجتماعي في سياقات مختلفة أن يعطي هذا النوع من المعلومات، وهذا أحد الأسباب الأساسية لأن علماء النفس الاجتماعيين يضعون ثقتهم في المنهج العلمي: أنه يعطي أدلة أكثر حسماً بكثير. وفي الحقيقة، كما سنرى، فهو مُصمَّم ليساعدنا ليس لتحديد أيٍ من مجموعتي التنبؤات السابقة هو الصحيح فقط، ولكن أيضاً متى ولماذا قد ينطبق أحدها أو الآخر.

ولكنَّ هذا ليس السبب الوحيد للتشكيك في البديهة. هناك سبب آخر يتعلق بحقيقة أن تفكيرنا عرضة لأنواع عِدة من التحيزات التي يمكن أن تُضللنا بصُورة سيئة. فيما يلي مثال: عد بذاكرتك إلى المشروعات الكبرى التي عملت فيها في الماضي (كتابة أبحاث للسنة الدراسية، طَهْي طبق معقد، طلاء غرفتك). والآن، حاول تذكر شيئين: 1- تقديراتك الأولى حول الوقت الذي سيستغرقه إنهاء هذه الأعمال و 2- الوقت الذي استغرقته فعلاً. هل هناك فجوة بين هذين الرقمين؟ هناك احتمال تام أن معظمنا يَقَعُ ضحية لمغالطة التخطيط (Planning Fallacu) وهناك ميل قوي للاعتقاد بأن المشروعات سوف تستغرق وقتاً أقل مما تأخذ بالفعل، أو بدلاً من ذلك أننا نستطيع أن ننجز في فترة زمنية معينة أكثر مما هو حقيقي. كذلك نحن نقع ضحية لهذا التحيز في تفكيرنا مراراً، رغم الخبرات المتكررة التي تقول لنا أن "كل شيء يستغرق وقتاً أطول مما نعتقد أنه سيستغرق". لماذا نحن عُرضة لمثل هذا النوع من الخطأ؟ تشير الدراسات التي أجراها علماء النفس الاجتماعيون إلى أن جزءًا من الإجابة يتضمن ميلاً إلى التفكير في المستقبل أثناء قيامنا بتقدير المدة التي سيستغرقها عمل ما. هذا يمنعنا من

تذكر المدة التي استغرقتها المهام المشابهة في الماضي وهذا بدوره يؤدي إلى خفض تقدير الوقت الذي سنحتاجه الآن (انظر مثلاً Buehlex, Griffin, & Ross, 1994) هذه هي واحدة من الطرق العديدة التي يمكن بها – وكثيراً ما نفعل – أن نرتكب أخطاء في التفكير تجاه الآخرين (وأنفسنا)؛ وسنقوم باستعراض العديد غيرها في الفصل الثالث. ولأننا نكون عرضة لمثل هذه الأخطاء في تفكيرنا غير العلمي حول العالم الاجتماعي. فإننا لا نستطيع الاعتماد عليه – أو على البديهة – لحل ألغاز السلوك الاجتماعي.

علم النفس الاجتماعي يركز على سلوك الأفراد

إن المجتمعات تختلف لدرجة كبيرة من ناحية آرائها حول التردد والزواج، ومع ذلك ما يزال الأفراد هم من يقعون في الحب. وبالمثل، تتباين المجتمعات كثيراً في مستوياتها الكلية من العنف، ومع ذلك ما يزال الأفراد هم من يؤدون الأفعال العنيفة أو يمتنعون عن فعلها. نفس القول ينطبق حرفياً على كل المظاهر الآخرى للسلوك الاجتماعي، من التعصب إلى تقديم المساعدة: الأفعال يؤديها الأفراد، والأفكار تحدث داخل رؤوسهم، رغم أنهم قد يتأثرون بقوة بالآخرين مِنْ حولهم. وبسبب هذه الحقيقة الأساسية، يكون التركيز في علم النفس الاجتماعي مُنصباً بقوة على الأفراد. وبالطبع، يدرك علماء النفس الاجتماعيون أننا لا نعيش بمعزل عن المؤثرات الاجتماعية الثقافية – والحقيقة بعيدة عن ذلك. وكما سنرى في كل أنحاء هذا الكتاب، فإن قدراً كبيراً من السلوك الاجتماعي يَحدُث في أوضاع الجماعات، وهذه الأوضاع يمكن أن تفرض تأثيرات قَوية علينا.

ولكن الاهتمام الرئيسي لهذا المجال يكمن في فهم العوامل التي تشكل أفعال وأفكار الأفراد في الأوضاع الاجتماعية.

علم النفس الاجتماعي يسعى لفهم أسباب السلوك الاجتماعي والتفكير الاجتماعي

بشكل صريح وواضح يقرر عنوان هذا القسم المظهر الأكثر أساسية في تعريفنا لعلم النفس الاجتماعي. ما يعنيه هو أن علماء النفس الاجتماعيون يهتمون في الأساس بفهم العوامل والظروف العديدة التي تشكل السلوك الاجتماعي والتفكير الاجتماعي بما في ذلك أفعالهم، مشاعرهم، معتقداتهم، ذكرياتهم، واستنتاجاتهم فيما يتعلق بالآخرين. ومن الواضح أن عدداً ضخماً من المتغيرات تلعب دوراً في هذا الاعتبار، ومع ذلك، تقع معظمها تحت الفئات الرئيسة الأربع الموصوفة فيما يلي.

أفعال وخصائص الآخرين. تخيل الأحداث التالية:

أنت في عجلة من أمرك وتلاحظ أنك تقود السيارة أسرع من المعتاد– فوق حدود السرعة

في الحقيقة. وفجأة، أمامك بمسافة غير بعيدة، ترى الأضواء الوامضة لأحد رجال الشرطة وإذ هو في هذه الحالة يوقف سائقاً آخر على جانب الطريق.

هل سيكون لأفعال الآخرين أي تأثير على سلوكك وتفكيرك؟

عندما ترى الأضواء الوامضة للشرطي، فإنك ستقوم بالتأكيد بخفض سرعتك – كثيراً في الواقع!! أمثلة كهذه، والتي تحَدُثُ مئات المرات كل يوم، تشير إلى أن سلوك الآخرين عادة ما يكون له تأثير قوي علينا (انظر الشكل 1-3).

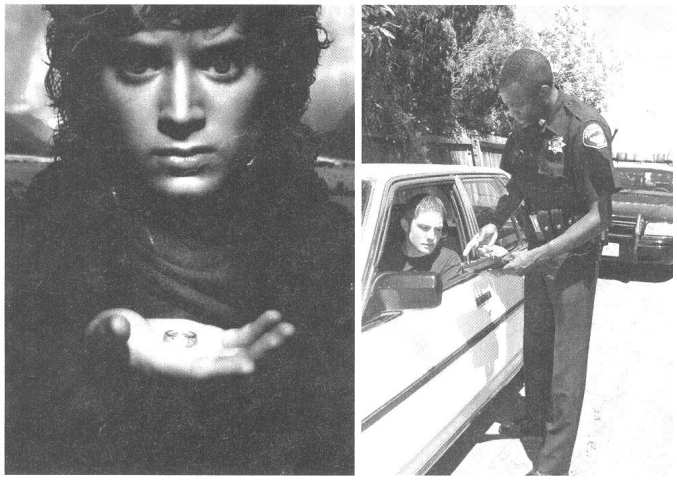

الشكل 1-3 رد الفعل على أفعال الآخرين
كما يوضح هذان المشهدان، فإن سلوك الآخرين عادة ما يفرض تأثيرات قوية على سلوكنا وتفكيرنا نحن.

بالإضافة إلى ذلك، فإننا كثيراً ما نتأثر بمظهر الآخرين. كن صادقاً: ألست تتصرف بطريقة مختلفة تجاه الأشخاص ذوي الجاذبية العالية مقارنة بالأشخاص ذوي الجاذبية الأقل؟ وتجاه المسنين مقارنة بالشباب؟ وتجاه الأشخاص المنتمين لجماعات عرقية تختلف عن جماعتك. وألست تقوم في بعض الأحيان بتكوين انطباعات عن شخصيات وسمات الآخرين من مظهرهم؟ إجابتك على هذه الأسئلة من الراجح أنها ستكون نعم لأننا عادة ما نتصرف حسب الخصائص المرئية للآخرين، مثل مظهرهم (انظر Tweng & Manis, 998, McCall. 1997) وفي الحقيقة، تشير نتائج الدراسات إلى أننا لا نستطيع تجاهل مظهر الآخرين حتى لو حاولنا فعل ذلك على مستوى الوعي، وكما قد تكون خمنت من نفسك، أن ذلك يلعب دوراً هاماً في المواعدة والعلاقات الرومانسية (انظر Burriss et al.,2001.) لذلك رغم التحذيرات مثل تجنب "الحكم على الكتاب من الغلاف"، فإننا عادة ما نتأثر بقوة بمظهر الآخرين – حتى لو لم نكن واعين بمثل هذه التأثيرات وقد ننكر وجودها (انظر الفصل السابع). والمثير للاهتمام أن نتائج الدراسات تشير إلى أن الاعتماد على مظهر الآخرين كمؤشر على خصائصهم لا يكون خطأ دائماً؛ في الواقع هُوَ يمكن أن يكون دقيقاً نسبياً، وخاصة عندما نستطيع ملاحظة الآخرين يتصرفون بعفوية، بدلاً من رؤيتهم في صورٍ ثابتة (Nouman et al., 2009).

العمليات المعرفية. افترض أنك قمت بالترتيب للقاء أحد الأصدقاء، وهذا الشخص تأخر. في الحقيقة، بعد 30 دقيقة تبدأ في الشك أن صديقك سيصل أصلاً. وأخيراً، هو أو هي، يظهر ويقول "آسف ... نسيت كل شيء عن لقائك حتى دقائق قليلة مضت". كيف سيكون رد فعلك؟ ربما ستتضايق تخيل بدلاً من ذلك أنه قال "آسف أنني تأخرت. كان هناك حادث ضخم، وأعاقتني زحمة المرور لأميال". الآن كيف سيكون رد فعلك؟ ربما بضيق أقل – ولكن ليس بالضرورة. إذا كان صديقك يتأخر عادة واستخدم هذا العذر من قبل، ربما يتكون لديك شك حول صحة تبريره هذا. وخلافاً لذلك، إذا كانت هذه هي المرة الأولى التي يتأخر فيها صديقك، أو إذا لم يكن قد استخدم هذا العذر من قبل قط، فإنك قد تقبله كحقيقة. بتعبير آخر، إن ردود فعلك في هذا الموقف ستعتمد بقوة على ذكرياتك مع سلوك صديقك الماضي واستنتاجاتك حول ما إذا كان تبريره حقيقياً فعلاً. مواقف مثل هذه تجذب الانتباه لحقيقة أن العمليات المعرفية تلعب دوراً حاسماً في السلوك الاجتماعي والتفكير الاجتماعي. إننا نحاول دائماً تكوين معنى من العالم الاجتماعي، وهذه الحقيقة الأساسية تقودنا للانهماك في قدر كبير من المعرفة الاجتماعية -Social Cognition للتفكير بشكلٍ مطول وبعمق بخصوص الآخرين: ماذا يُحبون، لماذا يفعلون ما يفعلون، كيف يمكن أن يكون رد فعلهم في سلوكنا، الخ (انظر Shah, 2003).

المتغيرات البيئية: أثر العالم المادي: هل يكون الناس عرضة للسلوك الاندفاعي العنيف أثناء فترة القمر البدر أكثر من الأوقات الأخرى (Rotton& Kelley,1985)؟ هل نصبح أكثر انزعاجاً وعدوانية عندما يكون الطقس ساخناً ومشبعاً بالرطوبة مقارنة عندما يكون الطقس بارداً ومريحاً (Rotton&Coha, 2000, Bell et al., 2001)؟ هل التعرض لرائحة مبهجة في الهواء يجعل الناس أكثر استعداداً لتقديم المساعدة للآخرين (Baron, 1997) وهل هذا يحدث في ملاعب كرة السلة مثلما يحدث في القطاعات المزدحمة وغير المكيفة من المدن (Larrick et al., 2008)؟ نتائج الدراسات تشير إلى أن البيئة المادية تؤثر بالفعل على مشاعرنا، وأفكارنا، وسلوكنا، لذلك فإن هذه المتغيرات هي أيضاً تقع داخل عالم علم النفس الاجتماعي الحديث.

العوامل البيولوجية: هل يتأثر السلوك الاجتماعي بالعمليات البيولوجية والعوامل الوراثية؟ في الماضي، كان مُعظم علماء النفس الإجتماعيين سيجيبون بلا ، على الأقل بالنسبة لجزء الوراثة من السؤال. ومع ذلك، حالياً وصل الكثيرون منهم للإيمان بأن تفضيلاتنا، وسلوكياتنا، وانفعالاتنا، وحتى توجهاتنا تتأثر، لدرجة ما، بموروثنا البيولوجي (Bussm 2008; Nisbett, 1990; Schmitt, 2009) رغم أن الخبرات الاجتماعية لها تاثير قوي هي أيضاً، وعادة ما تتفاعل مع العوامل الجينية في توليد الأنماط المعقدة لحياتنا الاجتماعية (انظر Gillath et al., 2008)

والرأي الذي يقول أن العوامل البيولوجية تلعب دوراً هاماً في السلوك الاجتماعي يأتي من حقل "**علم النفس الارتقائي** "evolutionary psychology (انظر Buss,2004؛ Buss 7 shnckelford, 1997) هذا النوع الجديد من علم النفس يقترح أن جنسنا – مثل كل الأجناس الأخرى على الكوكب – كان عرضة لعملية الارتقاء البيولوجي طوال تاريخه، وأنه نتيجة لهذه العملية فنحن نمتلك عدداً من الميكانزمات النفسية المنظورة التي تساعدنا على التعامل مع المشكلات الهامة المتعلقة بالبقاء. كيف أصبحت هذه الميكانزيمات جزءًا من موروثنا البيولوجي؟ من خلال عملية الارتقاء، التي بدورها تتضمن ثلاثة مكونات أساسية: الطفرة variation، والوراثة inheritance، والانتقاء .selection والطفرة تشير إلى حقيقة أن الكائنات التي تنتمي إلى جنس معين تتباين بعدة طرق.

والوراثة تشير إلى حقيقة أن بعض هذه الطفرات يمكن تمريرها من جيل إلى الجيل الذي يليه من خلال ميكانزمات معقدة نحن الآن في مجرد بداية فهمها. والانتقاء يشير إلى حقيقة أن بعض هذه الطفرات تعطي الأفراد الذين يمتلكونها حافة edge من حيث القدرة على التكاثر وتمرير هذه الطفرات إلى الجيل التالي.(انظر الشكل 1-4 للاطلاع على ملخص لهذه العملية).

وعلماء النفس الاجتماعيون الذين يتبنون المنظور الارتقائي يقترحون أن هذه العملية تنطبق على الأقل على بعض خصائص السلوك الاجتماعي. على سبيل المثال، لنأخذ مثلاً مسألة تفضيل الزوج. لماذا نجد بعض الناس جذابين. طبقاً للمنظور الارتقائي، لأن الخصائص التي يعرضونها – ملامح الوجه المتناسقة؟ الأجساد الجميلة الرشيقة؟ الجلد النظيف؛ الشعر اللامع ترتبط بالجينات الجيدة وتقترح أن الناس الذين يمتلكونها من المحتمل أنهم أصحاء وأقوياء، ويمتلكون جهازاً مناعياً قوياً (انظر Burnssetal,. 2011; Li& Kenrick.2006).

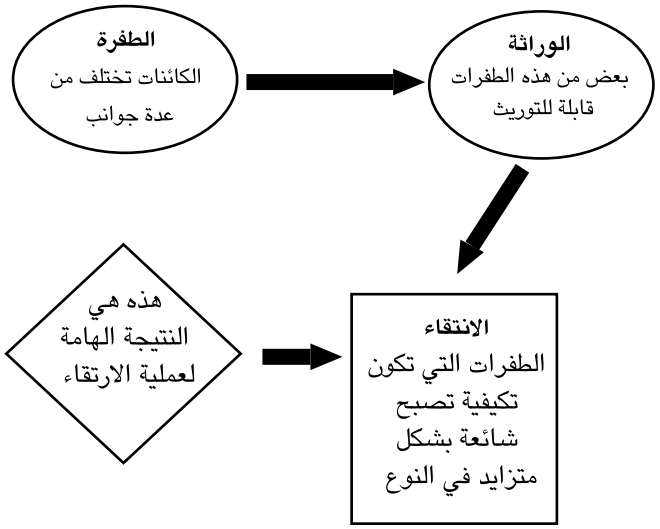

الشكل 1-4: عملية الارتقاء: عرض مختصر

وهناك موضوعات أخرى تمت دراستها من المنظور الارتقائي (مثل مساعدة الآخرين؛ العدوان؛ التفضيلات بالنسبة للطرق المختلفة لجذب الناس الذين هم في علاقة بالفعل)، وسنقوم بوصف هذه الدراسات في فصول أخرى.

ومع ذلك، نرغب هنا في التأكيد على حقيقة أن المنظور الارتقائي لا يقترح أننا نرث أنماطاً معينة من السلوك الاجتماعي؛ بدلاً من ذلك فهو يؤكد على أننا نرث ميولاً أو استعدادات مسبقة والتي قد تظهر في سلوكنا الخارجي، وذلك اعتماداً على الهيئة التي نعيش فيها. وبالمثل، فهذا المنظور لا يقترح أن نكون "مجبرين"أو تدفعنا جيناتنا للتصرف بطرق معينة. بدلاً من ذلك؛ فهو يقترح فقط أنه بسبب موروثنا الجيني، فإننا نمتلك ميولاً للتصرف بطرق معينة والتي – على الأقل في الماضي – حسنت من فرص بقاء أسلافنا وتمرير جيناتهم إلينا. هذه الميول يمكن أن تبطلها العوامل المعرفية وتأثيرات الخبرة (أي التعلم؛ انظر Pettijohn& Jungeberg,2009) على سبيل المثال، ما يتم رؤيته على أنه شيء جذاب يتغير بمرور الزمن وعادة ما يختلف للغاية بين الثقافات (مثلاً المرأة مفرطة الوزن تكون مرغوبة بشكل خاص في نيجيريا ولكن لدرجة أقل في أمريكا الجنوبية المعاصرة).

البحث عن المباديء الأساسية في عالم اجتماعي متغير

أحد الأهداف الأساسية للعلم هو وضع المبادئ الأساسية التي تكون دقيقة بغض النظر عن متى أو أين يتم تطبيقها أو اختبارها وعلى سبيل المثال، في الفيزياء، معادلة أينشتاين يفترض أنها صحيحة في كل مكان بالكون، وعبر كل الزمن – الآن، في الماضي وفي المستقبل. علماء النفس الاجتماعيون أيضاً يَسْعون إلى مثل هذه المباديء الأساسية. وبينما هم لا يقومون بوضع معادلات رياضية منمقة، فإنهم يريدون بالفعل اكتشاف المباديء الاساسية التي تحكم الحياة الاجتماعية. على سبيل المثال، هم يودون تحديد العوامل التي تؤثر على الانجذاب، وتقديم المساعدة، والتعصب، والانطباعات الأولى عن الآخرين، إلخ. والدراسات التي يقومون بها مصممة لإنتاج مثل هذه المعارف – المباديء الأساسية التي ستكون صحيحة عبر الزمن والثقافات المختلفة.

على الجانب الآخر، هم يدركون حقيقة أن الثقافات تختلف بشكل كبير وأن العالم الاجتماعي الذي نعيش فيه يتغير باستمرار– وبطرق شديدة الأهمية. على سبيل المثال، حتى اليوم، تتباين الثقافات بشدة فيما يتعلق بمتى وأين يتوقع من الناس "ارتداء ملابس رسمية" بدلاً من الملابس العفوية. وبينما تكون الملابس العادية العفوية مقبولة في كل السياقات في الولايات المتحدة، فما يزال ارتداء الملابس الرسمية أمراً متوقعاً في ثقافات أخرى. هذا مثال بسيط، ولكن نفس النقطة تنطبق على مظاهر أكثر أهمية من الحياة الاجتماعية أيضاً عند أي عمر يجب أن يحدث الزواج؟ هل "الهدايا" للموظفين الحكوميين أمرٌ مقبولٌ أم رشوة غير قانونية (انظر الشكل1-5)؛ عند أي عمر يجب أن يتقاعد الناس، وكيف يجب معاملتهم بعد أن يفعلوا؛ إن الثقافات تختلف بشكل هائل وبعدد ضخم من الطرق، وهذا يعقد مهمة وضع مباديء أساسية للسلوك الاجتماعي والتفكير الاجتماعي.

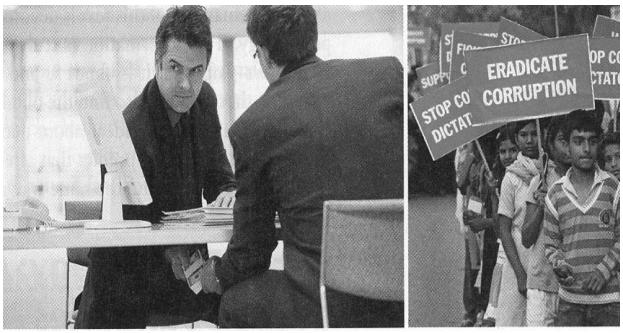

الشكل 1-5 تختلف الثقافات بطرق عديدة – تتضمن رأيهم حول الرشوة

في بعض الثقافات، يعتبر من المقبول – أو حتى من الضروري – تقديم هدايا (رشاوي) للموظفين الحكومين. وفي أخرى، ستدخلك مثل هذه الأفعال السجن!!

بالإضافة إلى ذلك، فالعالم الاجتماعي متغير – وبسرعة شديدة أيضاً. بسبب شبكات التواصل الاجتماعي، والهواتف الخلوية، والكثير من التغيرات الأخرى، يقوم الناس الآن بمقابلة الشركاء الرومانسيين المحتملين بطرق تختلف عن الماضي. ويعتقد علماء النفس الاجتماعيون أنه بالرغم من هذه التغيرات، فإن نفس المباديء الأساسية تنطبق: الجاذبية البدنية ما تزال مكوناً رئيسياً في العلاقة الرومانسية، ورغم أن التأثير يتم ممارسته الآن بطرق لم تكن ممكنة في الماضي (مثل الإعلانات على الإنترنت)، فإن المباديء الأساسية للإقناع أيضاً تظل لدرجة كبيرة هي نفسها (Goel et al., 2010). وباختصار، رغم أن مهمة تحديد المباديء الأساسية الدقيقة للسلوك الاجتماعي والتفكير الاجتماعي أمر يتعقد بوجود الاختلافات الثقافية الهائلة والتغيرات السريعة في الحياة الاجتماعية، فإن أهداف أبحاث علم النفس الاجتماعي ما تزال في متناول اليد: اكتشاف الحقائق الأساسية الدقيقة حول الجانب الاجتماعي من الحياة والتي تنطبق على مدى واسع من السياقات والمواقف.

النقاط الرئيسية	Key Piont
– علم النفس الاجتماعي هو الحقل الذي يسعى إلى فهم طبيعة وأسباب سلوك الفرد وتفكيره في المواقف الاجتماعية.	ويسعى لفهم أسباب السلوك الاجتماعي والتفكير الاجتماعي.
– هو علمي في طبيعته لأنه يتبنى القيم والمناهج المستخدمة في مجالات العلم الأخرى.	– يسعى علم النفس الاجتماعي لوضع المباديء الأساسية للحياة الاجتماعية التي تكون دقيقة عبر الاختلافات الثقافية الضخمة وبالرغم من التغيرات السريعة والأساسية في الحياة الاجتماعية.
– يتبنى علماء النفس الاجتماعيون المنهج العلمي لأن "البديهة" تعتبر دليلاً غير موثوق للسلوك الاجتماعي، ولأن تفكيرنا الشخصي يتأثر بمصادر تحيز عديدة محتملة.	– المسببات الهامة للسلوك الاجتماعي والتفكير الاجتماعي تتضمن سلوك وخصائص الآخرين، والثقافات، والعوامل الجينية الوراثية.
– يركز علم النفس الاجتماعي على سلوك الأفراد،	

علم النفس الاجتماعي :ملخص

باختصار، يركز علم النفس الاجتماعي أساساً على فهم أسباب السلوك الاجتماعي والتفكير. وهو يسعى لإنجاز هذا الهدف من خلال استخدام المناهج العلمية، وهو يراقب بحذر حقيقة أن السلوك الاجتماعي والتفكير الاجتماعي يتأثران بمدى واسع من العوامل الاجتماعية، والمعرفية، والبيئية، والثقافية والبيولوجية.

بقية هذا الفصل مكرس لوصف بعض النتائج الرئيسية لعلم النفس الاجتماعي، هذه المعلومات مدهشة حقاً، لذلك نحن متأكدون أنك ستجدها مفيدة – بعد كل شيء، فهي "عنا" وعن الجانب الاجتماعي من حياتنا!! ومع ذلك نحن متأكدون بنفس الدرجة أنك ستجد نتائج بعض الدراسات مفاجئة، وأنها ستتحدى الكثير من أفكارك حول الناس والعلاقات الاجتماعية. لذلك رجاءً استعد لبعض الاستبصارات الجديدة. ونحن نتنبأ أنه بعد قراءة هذا الكتاب، فإنك لن تفكر أبداً في الجانب الاجتماعي من الحياة بنفس الطريقة التي كنت تفكر بها من قبل.

علم النفس الاجتماعي: التطورات على كل الصعد

Social Psyohlogy: Advances at The Boundavies

إن الكتب الدراسية – بعكس القطع الأثرية – لا ترتفع قيمتها بالضرورة مع الزمن. لذلك، لكي تظل معاصرة، لابد لها أن تساير التغيرات في المجالات التي تمثلها. والتأكد من أن هذا الكتاب يظل معاصراً – بأفضل معنى للكلمة – هو أحد أهدافنا الأساسية، ومن ثم يمكنك التأكد من أن مايتم تقديمه في هذا الفصول القادمة يُقدم ملخصاً معاصراً للغاية لمعارفنا الراهنة بالجانب الاجتماعي من الحياة .

واتساقاً مع هذا المعتقد، نقوم الآن بوصف عدد من التيارات الرئيسية في علم النفس الاجتماعي الحديث – الموضوعات والأفكار التي تمثل الأحداث والواقع في البؤرة المحورية للتركيز. ونحن نفعل ذلك أساساً للتأكيد على النطاق العريض لعلم النفس الاجتماعي، وأيضاً لتنبيهك للموضوعات التي سنستعرضها مرة أخرى في فصول لاحقة.

المعرفة والسلوك: وجهان لنفس العملة الاجتماعية

Cognition and Behavior: Two Sides of The Same Social Coin

في الماضي (الماضي البعيد في الواقع!!)، كان يمكن تقسيم الاجتماعيين إلى مجموعتين منفصلتين: هؤلاء الذين كانوا يهتمون بشكل أساسي بالسلوك" الاجتماعي (كيف يتصرف الناس في المواقف الاجتماعية) وهؤلاء الذين كانوا يهتمون في الأساس بالمعرفة الاجتماعية –

كيف يحاول الناس تكوين معنى للعالم الاجتماعي وفهم أنفسهم والآخرين. هذا التقسيم اختفى الآن تماماً. في علم النفس الاجتماعي الحديث، تتم رؤية السلوك والانفعال كشيئين متشابكين وباستمراره. بتعبير آخر، هناك اتفاق شامل تقريباً في مجال أننا لا يمكن أن نأمل في فهم كيف ولماذا يتصرف الناس بطرق معينة في المواقف الاجتماعية دون أن نأخذ باعتبارنا أفكارهم، وذكرياتهم، ونواياهم، وانفعالاتهم، وتوجهاتهم، ومعتقداتهم. وبالمثل، يوافق علماء النفس الاجتماعيون كلهم على أن هناك تفاعلاً معقداً ومستمراً بين التفكير الاجتماعي والسلوك الاجتماعي. إن ما نفكر فيه بخصوص الآخرين يؤثر على تصرفاتنا تجاههم، وعواقب هذه الأفعال تؤثر بعد ذلك على تفكيرنا الاجتماعي.

دور الانفعال في الجانب الإجتماعي من الحياة

The Role of Emotion in The Social Side of Life

هل يمكنك تخيل الحياة دون مشاعر – انفعالات أو حالات مزاجية؛ ربما لا، لأن هذا هو أيضاً مظهر محوري للحياة الاجتماعية– والحياة بشكل عام. وعلماء النفس الاجتماعيون دائماً ما كانوا يهتمون بالانفعالات والحالات المزاجية، والسبب جيد: أنها تلعب دوراً رئيسياً في الكثير من مظاهر الحياة. على سبيل المثال، تخيل أنك تريد معروفاً من صديق أو قريب – متى ستطلبه، عندما يكون هذا الشخص في مزاج جيد أم مزاج سيئ؟ تشير نتائج الدراسات إلى أنك ستحصل على أفضل بكثير عندما يكون هذا الشخص في مزاج جيد، لأن الحالات المزاجية الإيجابية (الوجدان affect) كما يسمي علماء النفس الاجتماعيون هذه المشاعر، تزيد بالفعل من الميل لتقديم المساعدة إلى الآخرين (انظر Isen& Levin ,1972). وبالمثل، افترض أنك تقابل شخصاً للمرة الأولى. هل تعتقد أن حالتك المزاجية الحالية قد تؤثر على ردود فعلك مع هذا الشخص؟ إذا أجبت "نعم"، فأنت تتفق مع نتائج الأبحاث المنظمة، والتي تشير إلى أن انطباعاتنا عن الآخرين وأفكارنا عنهم، تتأثر بقوة بحالاتنا المزاجية الراهنة. ومؤخراً كان علماء النفس الاجتماعيون يدرسون دور الحالات المزاجية في مدى أوسع من السلوكيات الاجتماعية والتفكير الاجتماعي (انظر Forgas et al., 2009). وبصورة كلية، فقد تزايد الاهتمام بهذا الموضوع، بما فيه تأثير انفعالات معينة. إذن، فنحن نضعه هنا كمجال آخر يتم فيه إحراز تطورات سريعة على كل نواحي معرفتنا الحالية بالحياة الاجتماعية. بالإضافة إلى ذلك، نقوم بتجسيد هذا الاهتمام في كل أنحاء الكتاب في أقسام خاصة داخل كل فصل (مثل: "الانفعالات والتوجهات"، "الانفعالات وتقديم المساعدة"، "الانفعالات والمعرفة الاجتماعية").